Coptology

ذكرى ما هو كائن، ومَن هو قادرٌ، ومَن أعطى، ومَن دعى وبذل

تأملات في أسبوع البصخة (العبور)

دكتور

جورج حبيب بباوي

٢٠١٦

www.coptology.org

أحد الشعانين:

دخلتَ بيت اسرائيل لآخر مرة تودع التاريخ القديم، وتؤكد بدخولك أن المواعيد قد تحققت بتجسدك؛ لأنك أنت هو "الآتي باسم الرب"، أي الآتي بالحضور الإلهي في تاريخ البشر. أنت آتٍ منذ تجسدت وبعد صعودك إلى السماء أنت آتٍ دائماً "ها أنا معكم كل الأيام وإلى انقضاء الدهر" (متى ٢٨: ١٩). وأنت آتٍ باسم الرب لأنك أتيت "باسم الآب"، معلناً تلك العطية التي بدت بشارةً، والآن صارت حقيقةً واقعةً، إذ تجسَّدتَ، فصارت الإنسانية فيك قائمةً إلى الأبد في ذلك الاتحاد الأقنومي الفائق.

ومضيت إلى بيت الأحباء في بيت عنيا، بيت المعاناة. حقاً، لقد هزمت موت لعازر وأعدت للأختين ما كاد الموت يغرقه، ولكن الآن مؤامرة الموت تحاك وكأنك عدوٌ يجب قتلك والخلاص منك.

استقبلك الأطفال وبعضٌ من شعب العهد الأول دون أن يدري أن هذا الاستقبال هو خاتمة العهد الأول، فقد "كان الوقت قد أمسى" (مرقس ١١: ١١). وجاء مساءٌ خَتَمَ نهار العهد الأول ونظرت حولك (مرقس ١١: ١١)؛ لأنك لن ترى هذه المباني مرةً ثانيةً، فقد فَقَدت دورها ومعناها وصارت ظلالَ تاريخٍ عَبَر.

شجرة التين:

طلبتَ الثمرَ و لم تجده، صارت مثل الخاصة التي أتيت إليها و لم تقبلك "جاء إلى خاصته وخاصته لم تقبله" (يوحنا ١: ١١). ومَن يعثر في معاناة شجرةِ تينٍ عليه أن يسأل: كم من أشجارٍ قُطِعَت وتقطع لتكون حطباً أو لتكون خشباً لأسقف منازل أو لغيرها من الاستعمالات. وهل جاء من إسرائيل ثمر، والرب يقول "لا يأكل أحد منك ثمراً بعد إلى الأبد"؟ وسجَّل الإنجيلي النهاية، فكتب: "وكان تلاميذه يسمعون" (مرقس ١١: ١٤). وها هو بولس يصرخ لعل الآذان تسمع: "لا يحكم عليك أحد في أكل أو شرب أو جهة عيد أو هلال أو سبت التي هي ظل الأمور الآتية .. إن كنتم قد متم مع المسيح عن كل نظريات ومقاييس الحياة (أركان العالم) فلماذا كأنكم تعيشون في العالم تُفرض عليكم (من جديد بعد الإيمان) لا تمس ولا تذق ولا تستعمل (كولوسي ٢: ١٦-١٣) لقد غابت مع مساء ذلك اليوم، فقد دخل الرب سر آلامه.

يوم النبوات ثلاثاء البصخة أو العبور:

حسب التقويم العبراني، في ليلة الثلاثاء جاء قومٌ من الفريسيين يخبرون يسوع بأن هيرودس يريد قتله، وطلبوا منه الخروج من أورشليم، ولكن الرب يرى أورشليم بعيني المستقبل، تلك التي وُهِبَت لنا، و لم نعد نطلبها، فضاع منا المستقبل: "نظر المدينة وبكى عليها .. الآن قد أُخفي عن عينيك .. لأنك لم تعرفي زمان افتقادك" (لوقا ١٩: ٤١-٤٤). ودخلتَ الهيكل لتعلم مخبراً نهاية الكرمة. وحاولوا الوقيعة بينك وبين الحاكم الروماني بانك تحرِّض على عدم دفع الجزية، ولكن الرد الحاسم: "اعطوا ما لقيصر لقيصر وما لله لله" (لوقا ٢٠: ٢٥-٢٦). وسألوك عن القيامة، وأنت تعرف أن الآب هو إله الأحياء، لأن الجميع عنده أحياء" (لوقا ٢٠: ٣٨)، حتى لو كانوا في "شيول" الهاوية، تلك التي سوف تنزل إليها لكي تبددها كآخِر عائق في طريق حرية الحياة الإنسانية.

يوم التشاور، ويوم نبتت بذرة الخيانة:

في ليلة الأربعاء قلت للكل: "هوذا بيتكم يُترك لكم خراباً"، وجَمَعَت أُم الشهداء النبوات (حزقيال ٢٢: ١٧-٢٢-٢٣-٢٩) لتؤكد أن الخراب آتٍ، خرابٌ سبق النبي وأخبر به.

واسترحتَ في بيت عنيا في يوم الأربعاء، وهو اليوم الذي كان يتم فيه اختيار حمل الفصح حسب العهد الأول، ومرةً ثانيةً جاءت راحتك في بيت عنيا[1].

خميس العهد الأعظم:

في ليلة الخميس وقبل نهار الخميس؛ لأن اليوم يُحسب من المساء، وحسب الترتيب الكنسي، وبينما الرب في بيت عنيا "متكئ" في بيت سمعان الأبرص (مرقس ١٤: ٧-١١)، جاءت امرأة تخبر بموتكَ، ودَهَنَت جسدك وقلت: "سبقت فدهنت جسدي بهذا الطيب لدفني". كانت آلامك حقيقة، ومن أنكرها أنكر -عن جهلٍ- تجسدك. ومن أنكر تجسدك، أنكر -عن عنادٍ- الخلاص. لا يوجد خطابٌ قادرٌ أن يشرح ما فعلته المرأة، كان حباً، وكان عشقاً لمن عاينت فيه الطهارة الكاملة، وربما كان الطيبُ هديةً من عاشقٍ اشترى جسدها، ولكنه الآن عند الحبيب يهرق لمن جاء بالطهر.

سِرَّان في العلية:

أيها الصالح تغسل قدمي يهوذا الخائن، وأنت تعرف أنه سوف يخونك؛ لأن النار لا يمكن أن يدنسها شيء، بل تحرق قذارة الإنسان. والماء النقي يحمل الأوساخ

---

(١) بيت المعاناة حسب الأصل الآرامي – العبراني.

لتعود إلى الأرض ويرتفع بخاراً نقياً في الهواء. والنور يسقط في داخل بئر الظلام، ويظل نوراً. والجدل حول تناول يهوذا يكشف عن مسألة واحدة، هي أن الذين حرموا يهوذا من التناول، حرموا الصلاح الإلهي من أن يدخل معقل الخيانة، وكأن الصلاح والمحبة سوف يقفان عند خيانة التلميذ.

لُقِّبَ يهوذا بـ "الاسخريوطي"؛ لا لأنه توجد بلدة في فلسطين باسم "اسخريوط"، بل لأن الاسم العبراني يعني أنه ينتمي إلى تلك الجماعة من المتعصبين الذين يحملون السيف القصير Sicari وهو الاسم اللاتيني لفئة الغيورين Zealots [١] وهم قتلة الجنود الرومانيين. وكان ثلاثة من تلاميذ الرب ينتمون إلى هؤلاء، سمعان بطرس الذي كان يحمل ذات السيف، وسمعان القانوي وهو ليس من قانا الجليل، بل هو أيضاً مثل يهوذا (راجع لوقا ٦: ١٥: أع ١: ١٣)، والقانوي أو Kananaios هو اسم آخر لنفس الفئة وهو من ذات الاتجاه، والثالث هو يهوذا الاسخريوطي[٢].

ثلاثة من المتعصبين، الأول خان فقد أراد ملكوتاً أرضياً، وجاء الرب يبشر بملكوت إلهي سماوي، فلم يُعجب التلميذ الاسخريوطي، فباع المعلم لأنه فقد الأمل في قيادته السياسية بعد أن رآه غير مهتم بأن يقبل مُلك اسرائيل. والثاني بنفس التعصب قال للرب: "إن شك فيك الجميع فأنا لا أشك" (مرقس ١٤: ٢٩)، ولكن الرب أنذره، وعندما حانت لحظة التجربة "بدأ يلعن (يسوع) ويحلف إني لا أعرف هذا الرجل الذي تقولون عنه" (مرقس ١٤: ٧١). هكذا تحول يسوع إلى "رجل يقولون عنه"، وسقط، ولكنه بكى بكاءً مراً (متى ٢٦: ٧٥). أما الثالث فقد لزمت كل

---

(١) عندما تلقب أخت لنا نفسها بأنها "قبطية غيورة"، فهل تعرف أنها بهذا اللقب، أنها تنتمي تاريخياً إلى طبقة القتلة، لا إلى فئة المدافعين عن الحق؟!!!

(٢) رجاء مراجعة الدراسة التاريخية الممتازة للأب الكاثوليكي Ryamond Brown, The Death of the Mesiah ودراسة أخرى أشمل وأقصر The State in the NT by Oscar Cullmann قدم فيها دراسة تاريخية عن خلفية رسل الرب.

المصادر القديمة الصمت عنه، ولكنه كان مع الرسل في يوم العنصرة (أع ١: ١٣).

الصليب وسيف بطرس وسيف يهوذا:

ذلك المنظر بكل تفاصيله المتتابعة: غسل الأرجل – القبض على الرب في البستان – محاولة بطرس الدفاع عن معلمه وقطع أذن عبد رئيس الكهنة – لم يفلت يسوع من القبض عليه، بل يُحاكم – يدخل الشك في قلب بطرس – يهوذا سلَّم الرب بقبلة.

وفي وسط هذه الأحداث، ينذر الرب بطرس قبل العشاء في العلية. وينذر الرب يهوذا أثناء العشاء ويقدم جسده ودمه لثلاثة من القتلة سابقاً، أو على الأقل كان العنف وسفك الدم كامناً في القلب، رغم تكرار الإنذار بأن شرط التلمذة هو:

أن يحمل الصليب ويتبع الرب.

ولم يمنع الرب عطية الجسد والدم عن أيٍّ من هؤلاء، لا عن متى العشار، ولا عن بطرس الذي كان الرب يعلم تماماً انه سوف يخونه، وحتى بعد العشاء يقول الرب "سمعان سمعان (مرتين) هوذا الشيطان طلبكم لكي يغربلكم كالحنطة" (لوقا ٢٢: ٣١)، ونحن نرى كيف تفقد الحنطة حرية حركتها في الغربال. وهنا اليد التي تمسك بالغربال هي يد الشيطان. وكان الرب يعرف ماذا سيحدث، "ولكنني طلبت من أجلك (من الآب) لكي لا يفنى إيمانك" (لوقا ٢٢: ٣١).

عادت بي الذاكرة إلى أحداث الزاوية الحمراء، عندما جاء عددٌ من الذين أنكروا الإيمان بسبب فظاعة ما حدث طالبين العودة، ورفض الأنبا شنودة الثالث مقابلتهم، ولكن الشهيد الأنبا صموئيل رتَّب لهم أماكن إقامة، وجاء فريقٌ من الأطباء لعلاج الذين احتاجوا إلى العلاج، وأقام الذبيحة بعد الاعتراف بالإيمان، وقدَّم لهم جسد الرب ودمه "لكي لا يفنى إيمانهم" بالرفض. ذكَّرني هذا المشهد بقول الرب

لبطرس: "وأنت متى رجعت ثبِّت اخوتك" (لوقا ٢٢: ٣٢). وقد قال الرب هذا لبطرس بالرغم من معرفة الرب بأن بطرس سوف ينكره، وبالرغم من إصرار بطرس بأنه مستعد أن يمضي مع يسوع إلى السجن، بل وإلى الموت، إلا أن يسوع قال مؤكداً: "يا بطرس لا يصيح الديك اليوم قبل أن تنكرني ثلاث مرات، ثم أضاف الرب: "أنك تعرفني" (لوقا ٢٢: ٣٤).

هكذا تكمل الصورة:

- يُصلب وسط لصين،

- يتركه الكل ويهربون،

- تبقى النساء معه عند الصليب،

- لا يجد أحد يدفنه، إلا ذلك الذي كان تلميذاً، ولكن "خفيةً بسبب الخوف من اليهود" (يوحنا ١٩: ٣٨).

تلك هي سحابة الظلمة التي لم تستطع أن تقهر النور. جاء بطرس بعنف، ويهوذا بخيانة، ومر كلاهما في درب الصليب، الأول أنكر ولعن، والثاني خان، والبقية هربت .. وتم كل هذا بعد أن سلَّم الرب جسده ودمه.

إن روح د. مجدي وهبه (القس صموئيل وهبه) تصرخ من خلف أستار العالم العلوي، وهو الرجل الذي خصص حياته للخدمة ومُنع من التدريس لأنه قال إن الرب أعطى جسده ودمه ليهوذا حسب شرح ذهبي الفم: "ما أعظم العمى الذي أصاب الخائف، لأنه حتى بعد أن اشترك في السر، ظل كما هو على حاله، ورغم أنه جاء إلى

المائدة المقدسة، إلا أنه لم يتغير"[١].

إن الذين يدافعون عن المسيح، ويحاولون إبعاده عن الخطاة، يرتكبون ثلاث خطايا عظمى عن جهل:

١- يتصورون أن المسيح ضعيفٌ لا يعرف كيف يدافع عن نفسه إن شاء الدفاع عن نفسه، وهو الذي جاء لكي يموت عن كل الخطاة.

٢- يتصورون أن الشركة في المسيح هي مثل اغتصاب، كأن المسيح عذراء أو امرأة تُغتصب، وتحت حماية الأسقف تحتاج إلى حماية، ويفضح بذلك هذا التصرف الحياة الجنسية لهؤلاء المصابين بهوسٍ جنسي، ولكن رب المجد الجالس على الشاروبيم إذا قدم السرائر لخائن، فهي تتحول إلى نار دينونة لا إلى اغتصاب.

٣- وأقام هؤلاء أنفسهم حماة المسيح؛ لأنهم اعتقدوا أن المسيح مِلكٌ لهم ملكية خاصة يمكنهم أن يقدموها أو يمنعوها. هذه صورةٌ منحطة لوثنية مَن يضع الإله في جيبه، يخرجه وقت اللزوم، ويمنعه حينما يريد.

ورغم أن بطرس ويهوذا لم يكونا من عابدي الأوثان، إلا أن الإيمان لم يكن ثابتاً ولا متأصلاً. كان إيماناً بمعلِّم ظنُّوا أنه جاء لكي "يرد الملك لإسرائيل" (أع ١: ٦)، بل قبل آلام الرب كانوا يتحاورون "مَن هو أعظم" (مرقس ٩: ٣٥)، فأقام الرب ولداً في وسطهم، ثم "احتضنه" (مرقس ٩: ٣٦). وحتى الأيام الأخيرة ظل ابنا زبدي يطلبان أن يجلس واحد عن يمين والآخر عن اليسار في مجده (مرقس ١٠: ٣٧). غير أنه على الصليب كان عن اليمن لصٌ آمن، وعن اليسار آخر جاحد، فالجلوس عن

(١) يؤكد ذلك ذهبي الفم، لكن الأنبا بيشوي يعرف الإيمان أكثر من ذهبي الفم (راجع العظة ٨٢ على انجيل متى – والقديس ديوناسيوس الاسكندري (تاريخ الكنيسة ليوسابيوس ٣ – أوغسطينوس المقالة ٩٢ على انجيل يوحنا – توما الأكويني الخلاص ٣: ٦٠٨.

اليمين أو اليسار هو للآب الذي يعطي الوليمة ويرتب الحضور حسب الدعوة.

جاء العشاءُ في العلية استعلاناً للعطاء في زمان التردد والخيانة، وسبقَ البذلَ العلني على الصليب. المحبة شخصية، وتخرج إلى العلانية بعد أن تجمع "الأحباء" أولاً، **وخصوصية المحبة هي أنها عند الأحباء، سرٌّ، وعند الكل حدثٌ.**

لكن يسوع ليس قولاً، يسوع تعليماً وحياةً ومثالاً.

مَن ضرب بالسيف أنكر قبل أن ينكر؛ لأنه لم يفهم و لم يستوعب المحبة الباذلة. وعندما جاءت "المحنة"، عاد إلى القوة، و لم يجد في القوة رداً، وعجزَ السيفُ عن أن يعطي له مناعةً ضد الخوف.

هوذا هنا سيفان (لوقا ٢٢: ٣٨):

استخدم القديس لوقا الكلمة اليونانية Machaira وشرحها ذهبي الفم على أنها السكين المستخدم في ذبح حمل الفصح، وربما كان لا زال تلميذين معها ما كان ضرورياً لفصح العهد الأول (ذهبي الفم عظة ٨٤ على انجيل متى PG 58752)، والكلمة اليونانية فُهمت على أنها سيفٌ قصيرٌ لذبح الخرفان في زمن هوميروس (الإلياذة ٢٥: ١١: ٨٤٤، ١٨: ٥٩٧). ويبدو من أن الرب عندما قال: "يكفي"، وهي عبارة فيها تحذير بعدم الفهم وربما سخرية أيضاً من سوء الفهم حسب شرح القديس كيرلس That is more than enough أي هل هذا يكفي لمواجهة القادمين، وهم زمرة لا مجرد أفراد (شرح إنجيل لوقا ٢٢: ٣٨ PG 72:917)، لكن لا يجب أن نفقد مقدمة عبارة الرب نفسه: "ينبغي أن يتم المكتوب وأُحصيَ مع أثمةٍ"، والأكثر أهمية: "لأن ما هو خاص بي أو جهتي له انقضاء أو نهاية" (لوقا ٢٢: ٣٧)، وهو قول الرب الذي قال: "من ليس له فليبع ثوبه ويشتري سيفاً". حتماً هنا الإشارة إلى الحرب الروحية، والسيف –روحياً– هو سلاحٌ روحي للدفاع وليس للقتل؛ لأنه حتى في الحرب

الروحية ضد قوات الظلمة، فالقتال دفاعاً وليس قتلاً؛ لأننا لا نقتل مثل الشيطان.

ويبدو من الخلفية التاريخية أن السيف الذي كان مع بطرس، والآخر الذي كان مع سمعان القانوي الغيور، هما السيفان اللذان أشار إليهما الرسل.

يسوع في جثماني:

"الذي في أيام جسده، إذ قدم بصراخ شديد ودموع طلبات وتضرعات للقادر أن يخلصه من الموت وسُمِعَ له من أجل تقواه. ومع كونه ابناً تعلم الطاعة مما تألم به. وإذ كُمِّل صار لجميع الذين يطيعونه سبب خلاص أبدي" (عب ٥: ٧-٩).

هكذا قدَّم لنا الرسول بولس الرب في بستان جثماني، ولأن شبح أوطاخي مازال محلقاً حول الكنيسة، لذلك سوف نكتفي بعبارات المعلم الرسولي أثناسيوس: "خواص الجسد خاصة به؛ لأنه كان في الجسد، وهي مثل أن يجوع وأن يعطش وأن يتألم وأن يتعب وما شابهها من الصفات الخاصة بالجسد .. ولكنه حمل ضعفاتنا .. لو أن الضعفات الخاصة بالجسد لم تُنسَب للكلمة، لما كان الإنسان قد تحرر منها تماماً ... لظلَّت الخطية، وظلَّ الفساد باقيان في الإنسان، فإذ قد تألم المسيح بالجسد لأجلنا (١بط ٤: ١)، لذلك أيضاً فحينما يُقال عنه إنه يجوع، وإنه يعطش، وإنه يتعب، وإنه لا يعرف، وإنه ينام، وإنه يبكي، وإنه يسأل، وإنه يهرب، وإنه يولد، وإنه يتجنب الكأس ...." (ضد الأريوسيين ٣: ٣٢-٣٤).

لقد قَبِلَ الربُّ كل هذا؛ لكي يبيد كل هذه الأوجاع، ولكي يتحرر منها الإنسان؛ لأن الموت غريب على ما هو الحياة.

اللص في الفردوس:

يتكامل المنظر بذاك الذي قيل له: "اليوم تكون معي في الفردوس" (لوقا ٢٣:

٤٣). اللص حوكم على جرائم بموجب القانون الروماني. هو لذلك مستحقٌ للموت، وربما لأنه كان شريكاً لجماعة الغيورين القتلة، وليس له رجاء في حياةٍ أخرى. هنا تَّمت النبوة: "فتيلة مدخنة لا يطفئ"، وباقي النبوة: "حتى يخرج الحق Linguistic إلى النصرة". فما هي نصرة الحق؟ بالتأكيد ليست الانتقام. وما السبب في الاضطراب الحادث عندنا في المفاهيم إلاَّ لأنه قد حدث تداخلٌ لغوي بين كلمات: حق، وعدل، وصدق، وبر، بسبب تنوع اللغات من العبرانية إلى اليونانية إلى اللاتينية، ثم اللغات الأوروبية. فالترجمات تمر من خلال الثقافة، ومن خلال ما هو متعارف عليه، وبالتالي **الحق في العبرانية** ليس هو **الحق في اللاتينية**؛ لأن **الحق في العبرانية هو الصدق، بينما في اللاتينية هو القضاء وحكم الشريعة أو القانون. جاء يسوع ليقول إنه هو "الحق"، فلم يعُد الحق مجردُ تعبيرٍ يُقال أو كلمة، بل صار شخصاً. والعدل هو الصدق في العبرانية، بينما في اللاتينية هو الجزاء في القانون. والعدل والبر هما معاً عمل الله لأن الله "بار"[١] ولقب المسيح "البار" هو لقبٌ إلهيٌّ، وإذا لُقِّبَ إنسانٌ بأنه "بار"، فهذا يعني أنه يسلك حسب الله.**

لقد ظهر بر أو عدل الله في دخول اللص الفردوس، ظهر بدون حكم الشريعة (رو ٣: ٢١). وشهادة الشريعة والأنبياء عن هذا البر هي في أن "الكل أخطأوا"، وبقية القول: "وأعوزهم مجد الله" (رو ٣: ٢٣)، وهو الذي يصرخ به وعَّاظ الشريعة على أنه حكمٌ بالدينونة، بينما الصحيح، هو أنهم عجزوا عن أن يكونوا "صورة الله"؛ لأن "مجد الله" في الإنسان هو صورته، أي صورة الله. ولعل عبارة مار إفرام عن اللِّص "**الذي سرق الملكوت، أو سرق الفردوس**" هي عبارة لا مكان لها في الشريعة.

أمام هذا المنظر المهيب حقاً، تسقط كل النظريات التي تُقال عن العدل.

(١) راجع كتابنا: موت المسيح على الصليب"، ص ٤٧٧ وما بعدها.

لماذا تركتني، أم لمن تركتني؟

والصحيح في العبرانية هو "لما"، وهي كما نرى في مزمور (٢): "لما تتآمر الشعوب .. على الرب وعلى مسيحه" (راجع أعمال ٤: ٢٥)، أو "لما يا رب تقف بعيداً" (مزمور ١٠: ١-٢)، ويأتي الجواب "قم يا رب مُد يدك" (١٠: ١٢)، والأهم: "لحق اليتيم والمنسحق لكي لا يعود أيضاً يرعبهم إنسان من الأرض" (١٠: ١٨). وهناك أيضاً الشكوى من ارتفاع وامتداد قوة العدو (مزمور ١٣ كله)، الذي ينتهي: "أُغنِّي للرب لأنه أحسن إليَّ" (١٣: ٦). في مزمور (١٨)، وهو مزمور خلاص داود من يد شاول الملك: "أنقذني من عدوي القوي .. أصابوني في يوم بليتي وكان الرب سندي" (١٨: ١٨). هذه هي صرخة البريء في مزمور (٢٦: ١): "أحكم لي يا رب لأني بكمالي سلكت وعلى الرب توكلت .. لا تجمع مع الخطاة نفسي" (٢٦: ٩)، ثم "افدني وارحمني" (٢٦: ١١). يبقى لدينا الكلمة العبرانية □□□ (ل م ه) أي لمن؟ مَن هم هؤلاء الذين يقفون ضدي، وهي كما وردت في (تك ٢٥: ٣١) "ما هي، أو لمن هي بركة البكورية" في قول عيسو. وهو نفس سؤال الله ليعقوب: "لمن تسأل عن اسمي" (تك ٣٢: ٢٩ راجع ايضاً أرميا ٦: ٢٠ – أيوب ٩: ٢٩). والفعل الذي ترجم ترك يترك هو □□□ أي يترك – يحتقر كما ورد في العبرانية (تك ٣٩: ٩ – مزر ٣: ١٤ أرميا ٤٩: ١١)، ولذلك من اللائق أن نترجم صرخة الرب: "إلهي إلهي لمن تركتني؟"، وليس لماذا تركتني؟

وهؤلاء وصفهم المزمور بأنهم الذين: "يرونني يستهزؤن، يفغرون الشفاة وينغضون الرأس"، وقمة التعيير هي: "اتكل على الرب فلينجه" (٢٢: ٧-٨). ثم: "أحاطت بي ثيران .. فغروا عليَّ أفواههم كأسد مفترس يزمجر" (٢٢: ١٣)، "أحاطت بي كلاب جماعة الأشرار" (٢٢: ١٦). وينتهي المزمور بصرخات الانتصار (٢٢: ٢٢-٣١).

مات بالجسد الحيُّ إلى الأبد

من الأقوال المأثورة لأستاذنا د. وهيب عطا الله إن الرب "تألم أدبياً"؛ لأنه ذاق "الموت بالجسد". ولم يكن الموت فكرةً، ولا هو مجرد شعور، بل "مات الجسد" الذي عاش به ٣٣ سنة حسب التسليم الكنسي. وفي الجسد اختبر الرب كل خواص الجسد، وكل حدود الجسد، وجهل الإنسان، وضعف الجسد، وأخيراً موت الجسد. وكلمة "ذاق" بمعنى "اختبر" انفصال النفس عن الجسد، وهي نهاية الحياة الإنسانية؛ لأن هذا الانفصال لا يجعل الإنسان إنساناً.

- غير المحدود قَبِلَ الحدود

- الحي صار ليس فقط في عداد الأموات، بل قَبِلَ موت جسده.

- القيامة الذي أقام الموتى، هو نفسه يوضع في قبر.

ولذلك، ما قيل في العبرانيين (٥: ٧-٩) بأنه "كَمُل"، أي صار كاملاً، لا يعني أنه ناقصٌ، بل لأن عمله وصل إلى غايته، وهو ترتيب عودة الإنسانية إلى الله.

* عاد الإنسان إلى أصلٍ جديد بالولادة من البتول، عندما نقل الربُّ أصل وجودنا من آدم إلى شخصه (العظيم أثناسيوس).

* ونالت الإنسانيةُ فيه مسحة الروح القدس، تلك التي فقدتها في آدم.

* وغلبَ الشيطانَ كإنسان، وجعله كلا شيء.

* وجاء الى الموت ودخل من أبواب الموت، لكي يبيد الموت ويلاشي قوة الجحيم.

* ولذلك "كَمُلَ"، إذ نالت الإنسانية الخلود، ليس لأنه استُعلِن بالقيامة، بل لأن الخلود عَبَرَ الموت. قبل الصلب والقيامة، كان الربُّ قابلاً للموت لأنه أخذ اللحم والدم الخاص بنا (عب ٢: ١٤)، ولكن ذلك اللحم والدم، تحول ليس بإرادة الرب فقط، وليس بالاتحاد الأقنومي فقط؛ لئلا يصبح هذا هو تحوُّلٌ خاصٌّ به وحده، ولكنه حوَّل الذي لنا، في الواقع، وبالحق، وبالاختبار والتذوق.

* الاتحاد الأقنومي هو الأساس الذي بُنِيَ عليه خلاص الإنسان في المسيح، وعلى هذا الأساس تمت الولادة من البتول، ومسحة الأردن وتجارب البرية والموت والدفن وفي القيامة. وهذه كلها لم تكن من أجل الرب، بل "لأجلنا نحن البشر".

هذه هي ذكرى يسوع، الكائنُ لا الغائب. الحاضرُ في كل يوم وساعة. وذكراه هي حضوره، هي قدرته، وهي عطاء حياته وما بذله.

- ذكرى الرب التي يحتويها اسمه: "يسوع".

- ذكرى الرب في مسحة الروح القدس، ولذلك كلما قُلنا "المسيح"، فنحن عندئذٍ نستعيد مسحتنا.

- ذكرى الرب في موته المحيي، وكلما عَبَرت ملامح الصلب والصليب، انتصبت علامة العهد الأبدي "علامة الصليب" في قلوبنا وعقولنا، عندئذٍ نصدح بنشيد حريتنا من الموت والفساد.

- ذكرى دفن الرب في يوم السبت الكبير، وهي ذكرى اندحار قوة القبر واندثار الجحيم، فقد "نزل إلى الجحيم من قِبَلِ الصليب". وحيث قوة الجحيم، يقف المصلوب الحي والمائت الغالب ضد قوة الجحيم وضد مخاوفنا.

- ذكرى القيامة؛ لأننا عندما ننشد: "المسيح قام"، فنحن معه أحياء. هو قام

ليس لأننا نقول هذا فقط، بل لأنه لأول مرة في تاريخ البشر صار للقول حقيقة حياة، وصار اللفظ إشارةً إلى الوجود الغالب، و لم يعد مجرد كلمة ننطق بها.

المسيحُ قام أيها الأحباء.

لنحب بعضنا بعضاً؛ لأن المحبة قامت، وتحررت من رباطات الموت،

ونالت الخلود، وتألَّهت في يسوع.

كل عام وقوة الصلب والقيامة سارية فينا، وقوة الاتحاد الأقنومي ثابتة في كياننا.

المسيح قام.

كل عام وأنتم جميعاً في المسيح الحي.

الرب قام.

هذا هو فرحنا الأبدي.

د. جورج حبيب بباوي